شبهات المعاصرين حول تفسير قصة يوسف علية السلام

د/ نواف مزيد حسن السريحي
دكتوراه الشريعة الإسلامية

ملخص البحث

من ينظر في التفاسير المعاصرة يجد هناك أقولا أصبحت دخيلة على آراء المفسرين بل وتسللت لتصبح جزءا منه ، والدخيل هو التفسير الذي لا أصل له في الدين على معنى أنه تسلل إلي رحاب تفسير القرآن الكريم على حين غفلة من الزمن بفعل مؤثرات معينة بعد وفاة الرسول الكريم ، وهذه المؤثرات ذات جانبين :

(١) **جانب خارجي** : ويتمثل في أعداء الإسلام من اليهود والنصاري والشيوعيين الموجودين الذين أرادوا أن يفسدوا الإسلام ويشوشوا علي تعاليمة ويظهروه أمام العالم في صورة غير لائقة به ، انتقاما لأمجادهم الغابرة وذلك بدس خرافاتهم وأباطيلهم حول القرآن الكريم قاصدين من وراء ذلك فتنة المسلمين في دينهم وتشكيكهم في كتاب ربهم .

(٢) **وجانب داخلي** : ويتمثل في طوائف معينة انتسبت إلي الاسلام زوراً ولكنها في الحقيقة تمت بصلة وثيقة إلي أعداء الإسلام السابقين ، ومن هذا أدلت هذه الطوائف بدلوها – أيضا – في التشويش علي القرآن الكريم بنشر الخرافات والأباطيل حوله ، وتفسيره تفسيراً كله تحريف تمشياً مع المخطط الهدام الذي رسمه أعداء الإسلام – من اليهود والنصاري والمجوس وغيرهم – للقضاء علي الإسلام وتحطيم عقائده وتعاليمه في **الفوس** .

- وأبرز المعلومات الواردة في قصة يوسف :

١- كثرة الروايات الإسرائيلية التي الصقت بيوسف عليه السلام نظرًا ؛ لأنه نبي بني اسرائيل فهو يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم وأبعادها عنه وبيان الرأي الصحيح .

٢- أن يوسف عليه السلام قد شب علي أكمل الأوصاف ، عاملاً بما علم من آبائه واجداده الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

٣- الإيمان بالمبدأ يسهل ملاقاة الصعاب ومواجهة العواصف .

٤- الالتجاء إلي الله عند الابتلاء ، فقد اعتمد يوسف علي الله تعالى في كل شدة ألمت به .

٥- الدعوة إلي الله بمبدئه الذي اعتقده ، فاغتنم الفرصة واجتاح رئيس الخبازين ورئيس السقاة فأخذ يدعواهما إلي دينه .

٦- رفضه الخروج من السجن حتى يثبت براءته .

٧- ضرب يوسف المثل الأعلى في كثير من أنواع الصبر .

٨- والرأي السليم في وقع النبأ علي يعقوب عليه السلام ، ونوع الدم الذي جاءوا إليه به ، هو ما أخبر به القرآن الكريم من قول يعقوب عليه السلام ، قال بل سولت لكم انفسكم أمراً فصبر جميل أي بل سولت لكم أنفسكم أمراً غير ما تفترون .

٩- ولم يبين القرآن الكريم اسم الذي اشتراه من السيارة في مصر ولا منصبه ، ولا اسم أمراته لأن القرآن ليس كتاب حوادث وتاريخ ، وإنما قصصه حكم ومواعظ وعبر وتهذيب وللمفسرين أقوال في اسم أمرأة العزيز ، وأسم ملك مصر ، ليس للقرآن شأن فيها .

١٠-القرآن السليم في الهم الذي حدث أن همته عليه السلام بما امتنع لوجود البرهان عنده ، وهو حرصه على الطاعة ، واستمساكه بآداب آبائه ، وبأخلاقهم الزكية الطاهرة ، ولا يقال أن قوله ، وهم بها لا يصلح جواباً لأن لولا لها الصداره ولولا حرف امتناع لوجود ، امتنع الهم لوجود البرهان .

١١-القول الصحيح في شاهد يوسف أنه كان رجلاً للحديث الذي رواه البخارى فظاهر النص القرآني يفيد أن الشاهد كان رجلاً وأن لفظ الشاهد لا يقع في العرف إلا علي من تقدمت له معرفة بالواقعة وإحاطة بها .

١٢-القول الصحيح في مدة السجن أنه بقى محبوساً مدة طويلة لقوله ، " **وأنكر بعد أمة** "

تمهيد :.

يقتضينا منهج البحث أن نتحدث أولا عن معنى الأصيل لغة واصطلاحا ثم نتبعه بالحديث عن معنى الدخيل ، لنقف علي حقيقة أمره ، كذلك حتى يميز لنا الأصيل في قصة يوسف عليه السلام من الدخيل والصحيح من العليل فيقبل ما كان صحيحاً سليماً تؤيده الأدلة ، ويرد ما كان سقيماً مريضاً تعوزه الحجج والبراهين ، ويتضح لنا بجلاء ووضوح أن الأصيل لغة ، هو الذى له أصل ثابت ، ويمكننا أن نقول : أن الأصيل في الاصطلاح هو الذي له أصل في الدين ، أو بتعبير آخر ، هو ما ثبت عن طريق الكتاب أو السنة أو أقوال الصحابة أو التابعين ثبوتا مقبولاً ، أو جاء عن طريق الرأي المحمود المقبول .

والدخيل في اللغة : يستعمل في الأشخاص والالفاظ والمعانى ، وأنه يطلق علي ما ليس له أصل في المحيط الذي تسلل إليه .

والدخيل في الاصطلاح : هو ما نقل من التفسير ، ولم يثبت نقله ، أو ثبت ولكن علي خلاف المقبول أو كان من قبيل الرأي الفاسد .

أو بتعبير آخر : هو التفسير الذي لا أصل له في الدين ، علي معنى أنه تسلل إلي رحاب تفسير القرآن الكريم علي حين غفلة من الزمن ، بفعل مؤثرات معينة بعد وفاة الرسول الكريم، وهذه المؤثرات ذات جانبين :

١- **جانب خارجى** : ويتمثل في أعداء الإسلام الحاقدين من اليهود والنصارى والشيوعيين الموجودين بين غيرهم الذين ارادوا أن يفسدوا الإسلام ويشوشوا علي تعاليمه ويظهروه أمام العالم في صورة غير لائقة به انتقاما لأمجادهم الغابرة وذلك بدس خرافاتهم وأباطيلهم حول القرآن الكريم قاصدين من وراء ذلك فتنة المسلمين في دينهم وتشكيكهم في كتاب ربهم وتفتيت وحدة الأمة الإسلامية ، تلك التي أرسى قواعدها رسول الإنسانية محمد صلي الله عليه وسلم .

٢- **وجانب داخلى** : ويتمثل في طوائف معينة انتسبت إلي الإسلام ولكنها في الحقيقة تمت بصلة وثيقة إلي أعداء الإسلام السابقين ومن هنا أدلت هذه الطوائف بدلوها – أيضا – في التشويش علي القرآن الكريم بنشر الخرافات والأباطيل حوله ، وتفسيره كله تحريف وتخويف تمشياً مع المخطط الهدام الذي رسمه له أعداء الإسلام من اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم للقضاء علي الإسلام وتحطيم عقائده وتعاليمه في النفوس ، يقول الله تعالي " ويمكرون ويمكر الله والله خير المكرين " " يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره

ولو كره الكافرون " وإذا قد اتضح لنا من تلك اللمحة معنى الدخيل لغة واصطلاحا فلنأت بعد ذلك إلي الحديث التفصيلي عن الدخيل في قصة يوسف عليه السلام .

" يوسف عليه السلام "

هو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام .

كان يوسف جميل الصورة ، أثيراً عند أبيه يخصه بقسط عظيم من محبته وكان ذلك سبباً في حقد إخوته عليه ، وسبباً في محنته التي كانت خيراً وبركه عليه وعلي الأمم القريبة من مصر وعلي مصر ، وذكر القصة يفيد أنه كان صغيراً ولكن التوراة تقول كان سنه سبع عشرة سنة ، وهذا غير معقول لأن من كان في هذه السن يبعد أن يصنع مه ما صنع مع يوسف .

وقد رأى في منامه أن أحد عشر كوكباً والشمس والقمر سجدوا له والذي في القرآن الكريم يفيد أن قصة هذه الرؤيا علي والده كان في غيبة إخوته ، وأن أباه قال له **" لا تقصص** رؤياك علي إخوتك ، فيكيدوا لك كيداً ، إن الشيطان للإنسان عدو مبين ، وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ، ويتم نعمته عليك وعلي آل يعقوب كما اتمها علي أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم حكيم .

وتفيد عبارة التوراة أن ذلك كان يحضره أخوته وأن أباه انتهره علي هذا القول وقال لعلنا نسجد لك أنا وأمك وأخوتك متهكماً وما في القرآن هو **الحق** .

رأى أبناء يعقوب من إيثار أبيهم ليوسف وحدبه عليه ، ما لم يكن لواحد منهم فغاظهم ذلك وهم في عنفوان الشباب وطيش الحداثة فأضمروا له الشر فقال لأبيهم **" مالك لا تأمنا علي** يوسف وإنا له لناصحون ؟ أرسله معنا غداً يرتفع ويلعب وإنا له لحافظون "

وكان يعقوب قد أحس الشر الذي يضمره بنوه لأخيهم ، ولم يشأ أن يعلمهم بتخوفه جانبهم ، فقال " إني ليحزننى أن تذهبوا به " ثم ترقى في تعليل ظنه به قائلاً " وأخاف أن يأكله الذئب وانتم عنه غافلون " والله يعلم أنه يتخوف عدوانهم علي ولده أكثر مما يتخوف من عدوان **الذئب** .

لم يهتم أبناء يعقوب بجواب أبيهم ، بل أجابوه جواباً لا يبقي له علة يتشبث بها **"فقالوا** لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون "

وهنا تخالف التوراة القرآن في هذه القصة ، وتقول إن يعقوب هو الذي أرسل يوسف إلي أخوته من تلقاء نفسه ، ليذهب إليهم في المرعى ، ثم يعود ويطالعه بأحوالهم ، وكانوا قد أبعدوا ، فلما جاء وعليه قميص مخطط قد جاء به والده قالوا : **قد جاء صاحب الأحلام ، لابس الجلد**

المخطط ، ثم ائتمروا به ما يصنعون ، ثم انتهوا إلي أن يلقوه في الجب بعد أن يعروه من قميصه ، ولا يسفكوا دمه ، وأن يخبروا أباهم بأن مفترسا افترسه .

والقرآن يدل علي أنهم تسلموه من يد أبيه ، وذهبوا به وأجمعوا علي أن يجعلوه في غيابة الجب ثم جاءوا آباهم عشاء يبكون ، قالوا : يا أبانا إنا ذهبنا نستبق (أي في النضال بالسهام) وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب .

ولما كاد المريب يشعر من نفسه بالتهمة ، ويتخيل أن كل واحد قد أطلع علي خبيئه أمره قالوا لوالدهم " وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ، وجاءوا علي قميصه بدم كذب " فلم يخف عليه شأنهم ، فأخذ القميص ولما لم يجد به تمزيقاً ولا قطعا ، قال لهم متهكما ، ما أحكم هذا الذئب الذي افترس ولدى ولم يمزق عليه قميصه ، ولم يعمل في قمصيه نأباً ولا ظفراً ، وقال لهم " بل سولت لكم أنفسكم أمراً ، فصبراً جميل والله المستعان علي ما تصفون . [1]

ما ذكر بشأن الكواكب التي رآها ورؤيا أبيه ما يخاف عليه منه :

قال تعالى: " إذ قال يوسف لأبيه يأبت إنى رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي سجدين"[2]

وقال تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام " قال إني لحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون " [3] عندما فسر الإمام أبو السعود الآية الأولى تعرض لذكر أسماء الكواكب التي رآها يوسف عليه السلام في منامه ، فذكر في ذلك حديثاً مرفوعاً إلي النبي صلي الله عليه وسلم ، فقال ما نصه ، روى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أن يهودياً جاء إلي رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال : أخبرني يا محمد عن النجوم التي رآهن يوسف عليه السلام ، فأخبره بذلك فقال : نعم :قال صلي الله عليه وسلم : جريان ، والطارق، والذيال ، وذو الكنفات ، وقابس ، ووثاب وعمو ذان ، والفيلق ، والمصبح ، والضروح ، وذو القرع، والضياء والنور ، فقال اليهودي أي والله إنها لأسماؤها . [4]

وعندما تعرض أبو السعود لتفسير الآية الثانية ، ذكر أن السبب في قول يعقوب (وأخاف أن يأكله الذئب) أنه رأى في منامه أن الذئب شد علي يوسف فلذلك خافهم عليه وقد لقنهم العلة " إن البلاء " موكل بالمطلق .

---

[1] قصص الأنبياء ص ١٥٠ – ١٥٦
[2] سورة يوسف – الآية ٤
[3] سورة يوسف – الآية ١٣
[4] تفسير أبي السعود جـ ٤ص ٢٥٢ وتفسير أبن كثير جـ٢ص ٤٥٢ ، ٤٥٣

وقيل إنه رأي في منامه كأنه علي ذروة جبل ، وكان يوسف في بطن الوادى فإذا عشرة من الذئاب قد احتوشته تريد أكله ، قد راعته واحداً ثم انشقت الأرض فتوارى يوسف فيها ثلاثة أيام فكانت العشرة إخوته لما تمالاوا علي قتله ، والذي دافع عنه أخوه الأكبر ، يهودياً وتواريه في الأرض هو مقامه في الجب ثلاثة أيام .

أقول الحديث الذي ذكره أبو السعود في أسماء الكواكب التي رآها يوسف عليه السلام ، وكذلك ابن كثير موضوع علي ما نص عليه ابن الجوزى في الموضوعات ، وقد قال رحمه الله بعد إيراده لهذا الحديث (في كتاب الموضوعات) وهذا حديث موضوع علي رسول الله صلي الله عليه وسلم ، وكأن واضعه قصد شين الإسلام بمثل هذا ، وذكر في إسناده الحكم بن ظهير . [٥]

وقد أورد الهيثمى هذا الحديث في مجمع الزوائد عن البزار ، وقال : فيه الحكم بن ظهير وهو متروك .[١]

فصار الرواية إذن علي الحكم بن ظهير الفزارى وتضفع الأئمة ، وتركه الاكثرون ، وقال الجوازنى ساقط وهو صاحب حديث يوسف . [٢]

وقال الذهبي في الميزان قال ابن معين ليس بثقة ، وقال مرة ليس بشيء وقال البخاري منكر الحديث وقال مرة تركوه [٣] ويحسبه سقوطا مقالة البخاري فيه " منكر الحديث " وتركوه ، كما ذكر صاحب تنزيه الشريعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعية ، هذا الحديث من رواية جابر ، ومن طريق سعيد بن منصور ، وقال محقق الكتاب عن هذا الحديث إنه حديث منكر تقتضى نكارته الحكم بوضعه جزماً ، وهو في الحقيقة مأخوذ عن الاسرائيليات .[٤]

أما ما ذكره أبو السعود – من أن يعقوب عليه السلام رأي في منامه ما يخاف منه على ولده يوسف فلا يستطيع أحد أن ينكر عليه إبداء مخاوفه على ابنه عرض عليه إخوته أن يأخذوه معهم ولكن أي دليل علي صحة ما ذكر من أن يعقوب عليه السلام رأي في منامه أن الذئب شد علي يوسف ؟ أو أنه رأى عشرة من الذئاب احتوشته وأن الأرض ابتعلته .

---

[٥] الموضوعات جـ ١ ص ١٤٦
[١] أنظر كتابه جـ ٧ ص ٣١ .
[٢] تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٧٩٨
[٣] ميزان الاعتدال جـ ١ ص ٢٩٨ .
[٤] تنزيه الشريعة لأبن عراق جـ١ ص ١٩٤ بتحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله محمد

إن كل ذلك إلا إسرائيليات أوردها الثعلبي [٥] **في العرائس وعزاه إلي ابن عباس رضى** الله عنه ، وهو منها براء ، لأن يعقوب عليه السلام لو كان قد رأي ذلك فعلاً لما وافق علي إرساله معهم ، حيث إن رؤيا الأنبياء حق كما هو معلوم ، ولأنه يكون بذلك من شأنه أن يحتلط علي والده الذي كان يحبه ويشفق عليه فلا يرسل به إلي حيث يتوقع عليه من الضرر .

وقد عقب الإمام الألوسي رحمه الله ما قيل بشأن هذه الرؤيا ، فقال ما نصه **(وأنا لم أجد** لرواية الرؤيا – **صلفا** – سنداً يعول عليه ، ولا حاجة بنا إلي اعتبارها ، لتكف الكلام فيها . [٦]

ما ذكر بشأن صنيع إخوته به

بعد أن ترك يوسف في الجب **(البئر)** وكانت قليلة الماء جاءت سيارة **(قافلة)فأرسلوا واردهم** فأدلي دلوه في الجب ، فتعلق به يوسف لما نزع الدلو يحسبها قد امتلأت ماء –**فإذا غلام** وسيم تعلق بها ، فاستبشر الرجل ، وقال يا بشرى هذا غلام .

ويقول المفسرون ، إن الذين كانوا علي الماء ادعوا في القافلة أنهم اشتروه من سادته ، **وأسروه بضاعة حتى وردوا إلي مصرلا ، وشروه – أي باعوه – بثمن بخس** – واكنوا فيه من الزاهدين .

وكثير من الناس حتى بعض العلماء يقولون إن إخوته هم الذين انتشلوه من الجب وباعوه للسيارة وعبارة التوراة لا تساعدهم ، ونظم القرآن لا يساعد علي ذلك ، لأن ذكر السيارة وواردهم لم يعد ذكر إخوة يوسف في هذا المقام ، والذي في التوراة أن إخوة يوسف بعد أن ألقوه في الجب جلسوا للطعام ورأوا قافلة من الإسماعيليين تقصد مصر ومعهم الطيب ، وجاءت قافلة آخرى من المديانيين فسحبوا يوسف من البئر وباعوه للإسماعيليين وأن يهوذا أشار علي أخوته ألا يتركوا يوسف في الجب وأن يبيعوه ، ولما جاء راوبين إلي الجب لم يجد يوسف ، فمزق ثيابه وبكى ، وهذا كله ينفي ما اشتهر من أنهم باعوه والمفسرون ينقلون عن أهل الكتاب كثيراً مما لا أصل له ، قال تعالى " فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ " [١]

عندما تعرض أبو السعود لتفسير هذه الآية الكريمة ، ذكر ما قاله الرواة من تحديد البئر التي ألقى فيها يوسف ، وما جاء إيذاء إخوته له ، فقال ما نصه " مقيل : هي بئر بأرض الأردن ، وقيل بين مصر ومدين ، وقيل علي ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب عليه السلام بكنعان التي هي من

---

[٥] أنظر قصص الأنبياء المسمى عرائش المجالس ص ٩٨
[٦] تفسير الألوسي جـ ١٢ ص ١١٥ .
[١] سورة يوسف آية ١٥

نواحى الأردن ، كما أن مدين كذلك ، وأما ما يقال من أنها بئر بيت المقدس ، فيرده التعليل بالتقاط السيارة ومجيئهم أباهم عشاء ذلك اليوم ، فإن منزل يعقوب عليه السلام وبين بيت المقدس مراحل ، وجاء في التفسير ، يروى أنهم لما برزوا إلي الصرحاء أخذوا يؤذونه ويضربونه ، حتى كادوا يقتلونه ، فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا ، أما عاهدتموني أن لا تقتلوه ، فأتوا به إلي البئر ، فتعلق بثيابهم فنزعوها من يديه ، فدلوه فيها ، فتعلق بشفيرها ، فربطوا يديه ، ونزعوا قميصه لما عزموا عليه من تلطيخه بالدم ، احتيالا لأبيه ، فقال : يا إخوتاه ردوا علي قميصي أتوارى به ، فقالوا أدع الشمس والقمر والأحد عشر كوكبا تؤنسك فدلوه فيها ، فلما بلغ نصفها القوه ليموت ، وكان في البئر ماء فسقط فيه ، ثم أوى إلي صخرة فقام عليها وهو يبكى ، فنادوه وظن أنها رحمة أدركتهم فأجابهم فأرادوا أن يرضخوه ، فمنعهم يهوذا وكان يأتيه بالطعام كل يوم .

ويروى أن إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار ، وجرد عن ثيابه أتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه فدفعه إبراهيم إلي اسحاق وإسحاق إلي يعقوب ، فجعله يعقوب في تميمة وعلقها في عنق يوسف فجاءه جبريل عليه السلام فأخرجه من التميمة فألبسه إياه . [٢]

موقفنا من هذه الأقوال

أقول أرود الإمام أبو السعود أقولاً اربعة متباينه في تعيين البئر التي ألقى فيها يوسف عليه السلام ، فذكر أنها بأرض الأردن ، وقيل بين مصر ومدين ، وقيل بكنعان وقيل ببيت المقدس ، ارتضى منها الثلاثة الأولى ورد الرابع والأخير .

وأقول كلها مردودة ، وليس هناك واحد أرجح من غيره إذ الأقوال كلها مجتمعة مفتقرة إلي دليل ولا دليل ، وما كلفنا الله عز وجل بتعيين الجب التي ألقى فيها يوسف عليه السلام إذ أن تحديدها لا تعود منه علي المخاطبيين فائدة ، ولو كان لذكرها القرآن ، كذلك لم يثبت عن النبي صلي الله عليه وسلم خبر صحيح في هذا الشأن ، فلم الخوض إذن في أمر لا ينفع علمه ، ولا يضر جهله ، وأما ما ذكره أبو السعود من أن إخوة يوسف أمنعوا في إيذائه ونكلوا به ، وما ذكر من تعلق يوسف بشفير البئر ، وتوسله إلي إخوته أن يردوا عليه قميصه وما ذكر – أيضا – من نزول جبريل عليه السلام ليلبسه قميص إبراهيم عليه السلام ، فما كل ذلك إلا إسرائيليات ، لا تصح في

---

[٢] تفسير أبي السعود جـ ٤ ص ٢٥٨ .

نظر العقل ، ولا يؤيدها أثر صحيح ، فضلاً عن أنه لا فائدة ترجى من وراء ذكرها هي من أقوال السدى علي ما ذكره الإمام الرازى [1]

وليس من شك أن كلاً منهما – أي وهبا والسدي – قد نقلا كل هذه الروايات عن أهل الكتاب إذ أنهما معروفان بمثل ذلك ومن يرجع إلي الإصحاح السابع والثلاثين من سفر التكوين يجد صدق ما نقول .

ورحم الله الإمام الألوسي حين ذكر هذه الروايات التي قيلت في كيفية إلقائه وما قال ، وما قيل له كثير وقد تضمنت ما يلين له الصخر ، ولكن ليس فيها ما له سند يعول عليه . [2]

أما صاحب تفسير المنار ، فقد أنكر هذه الروايات واعتبرها من الإسرائيليات المنفرة من الإسلام والمسلمين ، فقال (وقد نقلوا عن السدي أن إخوة يوسف طغوا في القسوة عليه والتنكيل به فقد قالوا وفعلوا ما لا يصدر مثله إلا من رعاع الناس ، وأراذل المجرمين الظالمين ، وما هي إلا الإسرائيليات المنفرة من الإسلام والمسلمين . [3]

وجملة القول في كل ما قيل إنه من الإسرائيليات فعلاً ، بيد أن موقفنا منه ينبغي أن يكون من قبيل ما لا يصدق وما لا يكذب والله أعلم .

ما قيل في وقع النبأ علي يعقوب عليه السلام

قال تعالي " وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (١٦) قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (١٧) وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (١٨) " [4]

عند تفسير أبي السعود لهذه الآيات تحدث عن حال يعقوب عليه السلام عندما أخبره بنوه أن يوسف عليه السلام قد أكله الذئب فقال ما نصه (روى أنه لما سمع يعقوب عليه السلام بكاءهم فزع ، وقال ، ما لكم يا بني ؟ وأين يوسف ؟ قالو : يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا ، فأكله الذئب .. وجاء في التفسير روى أنهم ذبحوا سخلة ولطخوا قميص يوسف بدمها ، وزال عنهم أن يمزقوه ، فلما سمع يعقوب بخبر يوسف عليهما السلام ، صاح بأعلى صوته ، وقال أين القميص ؟ فأخذه وألقاه علي وجهه وبكى ، حتى خضب وجهه بدم القميص ؟ وفي الحديث " الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه ، وقيل سقط حاجباه علي عينه فكان يرفعهما بعصابة ، فقيل ما

---

[1] تفسير الفخر الرازى جـ ١٨ –ص ١٠١
[2] تفسير الألوسي جـ ١٢ –ص ١٩٧ .
[3] تفسير الألوسي جـ ١٢ ص ٢٢٠
[4] سورة يوسف الآيات ١٦ – ١٧ – ١٨

هذا ؟ قال طول الزمان وكثرة الأحزان ، فأوحى الله عز وجل إليه ، يا يعقوب أتشكونى ؟ قال يا رب خطيئة فأغفرها لي " [٥]

١- أقول ما ذكره أبو السعود من حال يعقوب ، وما أصيب به من الفزع عندما أخبره بنوه أن يوسف قد أكله الذئب وما ذكره – أيضا – من أن إخوة يوسف ذبحوا سخلة ولطخوا قميصه بدمها ، أو أنهم قاموا باصطياد ذئب ليقدموه دليلاً علي صدق دعواهم ، علي ما ذكره الثعلبي من أنهم لما رجعوا إلي أبيهم عشاء يبكون قال لهم يعقوب: إن كنتم صادقين في أن الذئب أكله فأين الذئب ؟ أئتونى به ، فعمدوا إلي حبالهم وعصيهم فأخذوها ومضوا إلي الصحراء فأصطادوا ذئباً وشدوه وأوثقوه كتافاً ، ثم حملوه إلي يعقوب وأقعوه بين يديه . إلخ . [١]

أقول إن كل ذلك إلا من إسرائيليات بنى إسرائيل وأكاذيبهم علي الأنبياء التي لا يمكن الوثوق بها ، ولا الاطمئنان إليها ، وكان الأولى بإمامنا أبي السعود رحمه الله أن يكف عنها ، ولا يسود بها صفحات كتابه ، ومن يرجع إلي الإصحاح السابع والثلاثين من سفر التكوين يجد فيه أصل ما جاء في هذه الأخبار الغريبة ، فقد جاء في الإصحاح المذكور (فأخذوا قميص يوسف ، وذبحوا تيساً من المعز ، وغمسوا القميص في الدم ، وأرسلوا القميص الملون ، وأحضروه إلي أبيهم ، وقالوا وجدنا هذا ، أقميص أبنك هو أم لا ؟ فتحققه وقال قميص أبني ، وحش ردئ أكله ، وافترس يوسف افتراساً فمزق يعقوب ثيابه وناح علي ابنه أياما كثيرة ، فقام جميع بنيه وجميع بناته ليعزوه ، فأبي أن يتعزى وقال : إني أنزل إلي ابني نائحاً وبكي عليه أبوه . [٢]

٢- ما ذكره أبو السعود من أن يعقوب عليه السلام طلب من بنيه قميص يوسف فليس هناك أي دليل علي أن يعقوب طلب منهم هذا المطلب .

وإنما قدم له أبناؤه قميص يوسف من تلقاء أنفسهم ، ظنا منهم أن هذا العمل يخفي من معالم جريمتهم النكراء ، أو ليموهوا به عليه ، شأنهم في ذلك شأن أي مرتكب للجريمة ، يدفعه شعوره الداخلى إلي التقديم ما يظنه دليلاً علي براءته .

الرأي السليم

والذي يجب أن يعتقد في هذا المقام – أو في هذه الجزئية من قصة يوسف عليه السلام – هو ما أخبر به القرآن الكريم من قول يعقوب عليه السلام (قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً

---

[٥] تفسير أبي السعود جـ ٤ ص ٢٥٦ – ٢٦٠ .
[١] أقاصيص العرائس ص ١٠١ .
[٢] العهد القديم ص ٦٢ .

فصبر جميل " أي بل سولت لكم أنفسكم أمراً غير ما تصفون من الكذب ، أو غير هذا الذي تقدمونه اعتذاراً

ومن نافلة القول أن قول : إن " بل " رداً لقولهم " أكله الذئب " كأنه قال ليس كما تقولون " بل سولت لكم أنفسكم أمراً فهذا الإضراب تكذيب صريح تقديره إن الذئب لم يأكله ، بل سولت لكم أنفسكم الأمارة بالسوء في شأنه أمراً إمراً وكيداً نكراً ، وزينته في قلوبكم ، فطوعته لكم حتى اقترفتموه صبر جميل لا يشوه جماله جزع اليائسين من روح الله القانطين من رحمة الله ولا شكوى إلي غير الله المستعان علي ما تصفون . [٣]

٣- أما قول الرواة أن الدم الذي لوثوا به القميص ، كان دم سخله أو جدي أو ظبية فجائز أن يكون كما ذكر وجائز أن يكون غيره .

والأولى فيما ذكروه الالتزام بما أخبر به القرآن الكريم من أنه دم كاذب ، دون تعيين للمصدر الذي استمدوه منه ، وبتفويض ذلك إلي علم الله العليم الخبير .

٤- وأما الحديث الذي أورده أبو السعود وهو " الصبر الجميل " الذي لا شكوى فيه فقد أخرجه ابن جرير الطبرى بالإسناد التالي :قال حدثنا عمرو بن عوف ،قال : أخبرنا هشيم عن عبد الرحمن بن يحيي عن حيان بن أبي جبلة ، قال : سئل رسول الله صلي الله عليه وسلم عن قوله ، فصبر جميل ؟ قال صبر لا شكوى فيه ، قال : من بث لم يصبر . [١]

وخرجه الجلال السيوطى في الدر المنثور ، وزاد نسبته لابن أبي الدنيا في كتاب الصبر ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن حبان بن أبي جبلة . [٢] وقال عنه الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف إنه مرسل .

يوسف عند سيده

القول الصحيح : أنه بيه لرئيس الشرطة في مصر ، ولم يعين البلد الذي كان عاصمة الملك في البلاد المصرية في ذلك الحين ، والأقرب أنها مدينة صان الحجر ببلاد الشرقية ، قرب بحيرة المنزلة ، وذلك أن ملك مصر في ذلك العهد كان من العمالقة الذين وردوا مصر قبل نزول إبراهيم ، وكان منهم الملك الذي أكرم مثوى إبراهيم ، وأعطاه الأموال الكثيرة ، وهم الذين شغلوا تاريخ مصر ما بين الأسرة الرابعة عشرة إلي الأسرة الثامنه عشرة ، التي منها أحمس الذي طرد

---

[٣] انظر تفسير المنار جـ ١٢ ص ٢٢ – ٢٢١ بتصرف قليل .
[١] جامع البيان جـ ١٢ ص ٩٩
[٢] الدر المنثور جـ ٤ ص ١٠ .

العمالقة من مصر ، ولما حصل يوسف عند سيده ، القى الله علي سيده محبته ، فقال لامرأته : أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً ، وكان سيده رئيس شرطة المدينة فكان يوسف أثيراً لديه ، فجعله صاحب أمره ونهيه ، والرئيس علي خدمة ، والمتصرف في بيته ، بحيث لم يكن لأحد ممن في الدار كلمة أعلى من كلمة يوسف سوى كلمة سيده وسيدته ، وقد تولى الله تعالى يوسف بالهداية والتربية والتوفيق ، وعلمه من لدنه علماً عظيماً ، كما قال تعالى " وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب علي أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلماً وكذلك نجزي المحسنين " [1]

ما حدث ليوسف بعد خروجه من الجب وما كان منه حتى اشتراه عزيز مصر

قال تعالى "وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ(١٩)وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ(٢٠)وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢١) " [2]

عند تفسير هذه الآية الكريمة ، تحدث أبو السعود عما حدث ليوسف بعد أن أخرجه وارد السيارة من الجب فقال ما نصه (**وأسروه**) أي أخفاه الوارد وأصحابه عن بقية الرفقة ، وقيل ، أخفوا أمره ووجودهم له في البئر ، وقالوا لهم دفعه إلينا أهل الماء ليبيعه لهم بمصر ، وقيل : الضمير لإخوة يوسف ، وذلك أن يهوذا كان يأتيه كل يوم بطعام ، فأتاه يومئذ فلم يجده فيها ، فأخبره إخوته ، فأتوا الرفقة وقالوا : هذا غلامنا أبق هنا فاشتروه منهم ، وسكت يوسف مخافة أن يقتلوه ولا يخفي ما فيه من البعد .

وعن الثمن الذي بيع به قال أبو السعتد (عن ابن عباس رضى الله عنه أنها كانت عشرين درهما)

وعن السدي : أنها كانت اثنتين وعشرين درهما ، ثم نجده وهو بصدد تفسير قوله تعالي " وقال الذي اشتراه من مصر لإمراته " يقول ما نصه (وهو العزيز الذي كان خازنا واسمه قطفير أو إطفير ، وكان الملك يومئذ الريان بن الوليد العمليقي ، ومات في حياة يوسف عليه السلام بعد أن آمن به ، وملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه إلي الإسلام فأبي ، وقيل : **كان الملك**

---

[1] قصص الأنبياء ص ١٥٧ .
[2] سورة يوسف – الآيات ١٩ – ٢٠ – ٢١ .

في أيامه فرعون موسى عليه السلام عاش أربعمائة سنة لقوله عز وجل (ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات) وقيل فرعون موسى من أولاد فرعون يوسف والآية من قبيل خطب الأولاد بأحوال الآباء واختلف في مقدار ما اشتراه به العزيز فقيل : بعشرين ديناراً وزوجين من نعل وثوبين أبيضين ، وقيل ، أدخلوه في السوق يعرضونه ، فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكاً ووزنه ، ورقاً ووزنه حريراً فاشتراه قطفير بذلك المبلغ لامرأته وأعيل أو زليخا ، وقيل : أسمها هو الأول والثاني لقبها . [٣]

١- أقول : ما ذكره أبو السعود من أن الضمير في " وأسروه " لإخوة يوسف وذلك يعني أنهم هم الذين قاموا ببيعه فخلاف الظاهر ، ذلك أن نظم القرآن لا يساعد عليه ، وهذا ما أميل إليه وأرجحه ، لأن القرآن الكريم ذكر السيارة ، ووارادهم ولم يعد إلي ذكر إخوة يوسف في هذا المقام ، وعليه فإن السيارة هم الذين باعوه (لأنهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به ، ولا يبالي بأي شيء يبيعه أو لأنهم خافوا أن يظهر المستحق فينزعه من يدهم ، فلا جرم باعوه بأوكس الأثمان) [١] ولعلهم تعجلوه في بيعه بهذا الثمن البخس خوفاً من فراره منهم أو خشية اغتصاب المغتصبين الذين لا يخلو منهم زمان أو مكان فأرادوا أن يريحوا أنفسهم .

أما أن يقال : إخوة يوسف هم الذين قاموا ببيعه فبعيد ، إذ لا شك أنهم كانوا حريصين علي إبعاد أي تهمة عنهم تثبت إدانتهم ، وكونهم يقومون ببيعه لهؤلاء الذين أخرجوه من الجب مدعين أنه مملوك لهم آبق منهم مع كتابتهم كتاباً متضمناً أسماءهم يثبت إدانتهم جميعاً يحرص مدبروها علي صبغتها بالسرية التامة ما استطاعوا إلي ذلك سبيلاً وإن كان هذا لا يمنع جواز مراقبتهم له من بعيد .

٢- أما ما ذكره أبو السعود من روايات تحدد الثمن الذي بيع به يوسف عليه السلام ، وأنه كان عشرين درهما ، أو اثنين وعشرين درهما – وعزا هاتين الروايتين إلي ابن عباس والسدي – أو كان الثمن عشرين ديناراً أو غير ذلك مما هو مذكور من الأعيان كالمسك والحرير وغيرهما التي بلغت أضعاف وزنه .

أقول : من أين أتى أصحاب هذه الوايات بتلك الأرقام من النقد والأعيان ثمناً ليوسف عليه السلام ، دون أن يذكر في القرآن الكريم أو السنة النبوية الشريفة شيء منها ، إن كل ما ذكره القرآن بخصوص هذا الموضوع أن يوسف عليه السلام بيع بدراهم معدودة بمعني قليلة ، دون أن يبين مقدار عددها ، وإذا كان الأمر كذلك ، فلا داعى بعد ذلك لتحديدها أو تقديرها ،

---

[٣] تفسير أبي السعود جـ ٤ ص ٢٦١ – ٢٦٢
[١] تفسير الفخر الرازى جـ ١٢ ص ١١٠ .

كما أ،ه لا يصح ولا يجوز أن نقول إنه عليه السلام كان ضمن ثمنه زوجان من النعال ورحم الله الطبري فقد ذكر أبو السعود وغيره من الثمن الذي بيع به يوسف عقب عليه فقال (**والصواب من القول** في ذلك أن يقال : أن الله تعالى ذكره أخبر أنهم باعوه بدراهم معدودة غير موزونة ، ولم يحدد مبلغ ذلك بوزن ولا عدد ، ولا وضع عليه دلالة في كتاب ولا خبر عن الرسول صلي الله عليه وسلم إلي أن قال " وليس في العلم بمبلغ وزن ذلك فائذة تقع في دين - ولا في الجهل به دخول ضرر فيه ، والإيمان بظاهر التنزيل فرض ، وما عداه فموضوع عنا تكلف علمه . [٢]

٣- وأما ما ذكره أبو السعود من أن عزيز مصر كان يسمى قطفيراً أو إطفيراً وأن أمراته كانت تسمة زليخا أو راعيل ، وما قيل من إيمان الملك في حياة يوسف أو عدم إيمانه فتلك أمور **اختلف** فيها المفسرون ، وأكثروا من القول وأحسب أن هذا لا يصح وخاصة أن مثل هذه الأمور من أخبار الماضين فهي أمور غيبية ، ليس لنا أن نتكلم فيها إلا بما ورد الشرع به ، ومما يؤيد فهمنا لهذا القول أن الإمام الرازى – رحمه الله – **قد أنكر ما ذكره أبو السعود عن** ثمن يوسف وعن اسم عزيز مصر وملكها وما قيل من إيمانه في حياة يوسف وعدم إيمانه ، وغير ذلك مما جاءت به الروايات فعقب عليهابما يفندها ، فقال (وأعلم أن شيئاً من هذه الروايات لم يدل عليه القرآن ، ولم يثبت – أيضا – في خبر صحيح ، وتفسير كتاب الله لا يتوقف علي شيء من هذه الروايات ، فالأليق بالعاقل أن يحترز من ذكرها " [١]

وأيضا يقول صاحب المنار في هذا المجال : (لم يبين القرآن اسم الذي اشتراه من السيارة في مصر ، ولا منصبه ولا اسم امرأته لأن القرآن ليس كتاب حوادث وتاريخ ، وإنما قصصه حكم وموعظ وعبر وتهذيب ، وللمفسرين أقول في أسم امرأة العزيز ، واسم ملك مصر ليس للقرآن شأن فيها) [٢]

أجل فليس للقرآن شأن في مثل هذه الأمور وعلينا أن نؤمن بذلك كما علينا أن نؤمن أنه ليس من مهمة القرآن تحديد الأشخاص ولا تعيين الأسماء ، وإنما مهمتة الإرشاد إلي ما تدل عليه القصة منجهات العظات وأنواع العبر ، كما أنه لا ينبغي لنا أن نشغل أنفسنا بما لا يتوقف علي معرفته أو عدم معرفته تفسير آيات الكتاب العزيز والله أعلم .

---

[٢] جامع البيان جـ ١٢ ص ١٠٣ .
[١] تفسير الفخر الرازى جـ ١٢ ص ١١١ .
[٢] تفسير المنار جـ ١٢ ص ٢٢٤

ولصاحب الظلال ملحظ طيب في مثل هذه الأمور ، ومن المفيد إثباته في هذا المقام يقول رحمه الله

"أن النص القرآني يغفل أسماء الأشخاص ، وأعيان الذوات ، ليصور نماذج البشر ، وأنماط الاباع

ويغفل تفصيلات الحوادث وجزئياتها ، ليصور القيم الثابتة والسنن الباقية ، هذه التي لا تنتهي بانتهاء الحوادث ولا تنقطع بذهاب الأشخاص ولا تنقضي بانقضاء الملابسات ومن ثم نبقي قاعدة ومثلاً لكل جيل ولكل قبيل " .

موقف يوسف من امرأة العزيز

كان منة الله تعالى علي يوسف بالجمال الرائع مكمنا لمحنته ، ومحنته مكمنا للمنة العظيمة عليه وعلي آله وعلي أهل مصر ، وجميع الأمم التي تقرب من مصر ، كما قال ابن عطاء السكندري " ربما كمنت المنن في المحن ، وكانت تلك المحن أن امرأة العزيز ظرت إلي يوسف وما هو عليه من الخلق السوي والجمال المفرط ، فأشعل ذلك في نفسها جذوة الحب ، وصار ذلك يزداد بتكرر رؤيتها له ، إلي أن غلبها الحب علي حيائها ، فأخذت تداعب يوسف وهو يعرض عنها لعاملين يكفي كل واحد منهما لعزوفه عما تريد .

الأول : إيمانه بالله وامتثال أوامره بالتزام الطهارة من الأرجاس الخلقية تلك الطهارة التي وجد عليها أباه وجده وجد أبيه .

ثانيهما : أن بعلها سيده الذي حدب عليه ، وأكرم مثواه ، ومكن له في بيته وجعله المتصرف في أمواله وخدمة ، ووثق به ثقة ليس لها حد ، فلا ينبغي أن يقابل نعمته بالكفران ، فلو لم يكن له دين يحجزه عن الشر ويلزمه الطهارة لكان ذلك كافياً لحفظ سيده في أهله ، والبعد عن تدنيس فراشه ، كان ذلك دأب يوسف معها ، إلي أن هاج بها الغرام ، واعتزمت علي شفاء ما في نفسها من الصبابة فصارحته القول ، ودعته إلي نفسها دعوة لا هوادة معها ، واحتلت الأمر ، وأخذت عدتها له ، وغلقت الأبواب ، وقالت ليوسف ، هيت لك ! فأبي وقال إنه – أي بعلها – ربي أحسن مثواى ، إنه لا يفلح الظالمين ، وفي هذا الموقف العنيف شاب في ريعان شبابه ، ونضارته الفتوة ، تدعوه سيدته الجميلة إلي نفسها فيغلبه دينه ويعصمه رعئ الذمام لسيده ، ثم يولي وجهه شطر الباب يطلب النجاه من شيطان غوايتها ، وهي تجاذبه ثوبه ، وهو العصي ، حتى تمزق من خلفه إلي أن يغلبها ويفلت من يدها فيستبقان الباب ، هو يريد فتح مغلقه وهي تريد أن تحول بينه وبين ما يشتهي من الإفلات من يدها دون قضاء رغبتها وحينئذ يجد أن بعلها عند الباب

(١) تدبروا واقرأوا قوله تعالي " وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٣) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤) وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ " (٢)

الأقوال في الهم الذي حدث

وللعلماء في تفسير هذه الآية آراء .

- **الأقوال المرفوضة :**

١- إن امرأة العزيز قد همت بيوسف ليضاجعها ، وهو هم بها ، وأنه قعد منها مقعد الرجل من امرأته فلم يبق شيء دون إتمام ما قصدته وقصده جاء جبريل وأخبره بأنه سيكون نبياً وهذا **العمل لا** يليق من الأنبياء ، فكف عنها وهذا برهان ربه ، ومعنى الآية لولا أن رأى برهان ربه **لفعل** .

٢- وقال آخرون إن البرهان الذي رآه وهو علي هذه الحال أن نظر فرأى وجه أبيه وهو يؤذيه علي هذا العمل عاضاً علي أنامله .

٣- وقال آخرون إن يوسف – وهو في تلكم المحال – **نودي من** الله يا يوسف إنك مكتوب في ديوان الأنبياء وتعمل عمل السفهاء إلي غير ذلك من الأقوال الباردة ، والقائلون بتلك لم يفهموا قول الله تعالي في تلك الآية " كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ " فكيف يكون قد صرف عنه السوء وهو قد تهيأ لفعل الفاحشة وأصغة إلي شيطان الغواية ولم يرجع – كما يقولون – إلا بعد أن رأي من الزواجر والروادع ما يكفي لصرف أعظم الفسقة والمستهترين عن الغي ومتابعة الشهوة ، وكيف يوصف بأنه من المخلصين من كان انصرافه علي هذا الوجه .

٤- وأعرق الأوجه في البعد والغرابة من يعتذر عن هم يوسف بأن ذلك كان قبل النبوة أي فعل المعصية في هذا الدور غير ممتنع علي الأنبياء فإن صاحب هذا القول غافل عن قوله تعالي

---

(١) ساقت التوراة هذه القصة في سفر التكوين في الإصحاح ٣٩ ، وهي لا تختلف عن القرآن إلا في شيء واحد وهو أنها لما امسكت بثوب يوسف خلعه لها ، فنادت الخدم وأخبرتهم بأن بعلها جاء برجل عيراني يداعبها ، وأن يوسف لما رأي المكان خاليا طلب أن يضاجعها ، فأبت وصرخت بصوت عظيم ، وكان قد خلع ثوبه استعداداً للأمر فخاف حين استغاثت وهرب وترك عندها قميصه

(٢) سورة يوسف الآيات ٢٣ / ٢٤ / ٢٥ .

" اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ " فإن الرسالة إنما يختار لها أصحاب الأعمال المرضية ، ولا يختار الله رسله من أهل الفسق ، وهو تعالي يرشحهم لما يضطلعون به من رسالته ، فهو يعصمهم عن الخسائس ، وسائر ما يعبر به الناس ، وأي عار أكبر من أن يذهب الشخص إلي المعصية ثم لا يرجع إلا بعد الزجر والنهي .

٥- ويقول آخرون إنه هم هم الطبيعة ، وهو أمر لا اختيار للمرء فيه وهؤلاء أخف قولاً مما تقدم .

٦- ويقول آخرون إنه هم هم ترك ولست أطمئن إلي هذا القول وأنه وجد منه هم علي حال وتكلف آخرون فقالوا إنه هم ليضربها .

القول الصحيح

والقول الذي لا غبار عليه ويلتئم مع قوله تعالي " كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ " ومع قوله في الآية نفسها " إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ " أن همه عليه السلام بها امتنع لوجود البرهان عنده ، وهو حرصه علي الطاعة واستمساكه بآداب آبائه ، وبأخلاقهم الزكية الطاهرة ، ولا يقال إن قوله " وهم بها لا يصلح جواباً لأن لولا لها الصدارة لأنا نقول : أن هذا هو الجواب ولكنه دليل الجواب – ونظير ذلك قوله تعالي " وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ " [1] لأن لولا حرف امتناع لوجود ، امتنع الهم لوجود البرهان ، وامتنع إبداء أم موسى بما في نفسها علي أبنها لوجود ربطنا علي قلبها والجواب محذوف تقدم دليله علي لولا .[2]

- ما قيل عن شاهد يوسف :

قال تعالي علي لسان يوسف عليه السلام " قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٧) فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨) .

عند تفسير هذه الآيات الكريمة تحدث أبو السعود عن الذي اقترحه بفراسته معاينة القميص ، ليتبين ما إذا كان قد من قبل أو من دبر ، حتى يكون برهاناً قوياً يعلم به قول الصادق ، وأمارة ناطقة بصدق يوسف وكذب امرأة العزيز ، فذكر أقوال العلماء في هذا الشاهد ، فقال ما

---

[1] سورة القصص آية (١) .
[2] قصص الأنبياء ص ١٥٨ – ١٥٩ .

نصه قيل : هو ابن عمها وقيل هو الذي كان جالساً مع زوجها لدى الباب وقيل كان حكيماً يرجع إليه الملك ويستشيره .

وقد جوز أن يكون بعض أهلها قد بصر بها من حيث لا تشعر فأنطقه الله تعالي ليوسف عليه السلام بالشهادة له ، والقيام بالحق .

وقيل (**كان الشاهد** ابن خال لها صبيا في المهد انطقه الله تعالي ببراءته وهو الأظهر ، فإنه روى أن النبي صلي الله عليه وسلم قال " تكلم أربعة وهو صغار : **ابن ماشطة بنت فرعون** ، وشاهد يوسف ، وصاحب جريج ، وعيسي عليه السلام " رواه الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه وقال صحيح علي شرط الشيخين[٣]

أقول ذكر الإمام أبو السعود آراء العلماء في الشاهد الذي اقترح معاينة القميص ، ثم رجع أنه كان صبياً في المهد ، حيث قال : وهو الأظهر ، واستشهد علي ذلك بحديث تكلم أربعة وهم صغار وعد منهم شاهد يوسف عليه السلام ، قلت وهذا غير مسلم وذلكم لأمرين – **والقول** الصحيح في الشاهد كان رجلاً .

الأول : أن الحديث الصحيح الذي ثبت عن النبي صلي الله عليه وسلم في هذا الصدد هو ما رواه البخاري في صحيحه بسنده عن أبي هريرة عن النبي صلي الله عليه وسلم قال : " **لم** يتكلم في المهد إلا ثلاثة : عيسي عليه السلام وكان في بني إسرائيل رجل يقال له جريج كان يصلي فجاءته أمه فدعته فقال أجيبها أو أصلي فقالت : اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات كان جريج في صومعته ، فتعرضت له امرأة وكلمته فأبي ، فأتت راعياً فأمكنته من نفسها ، فولدت غلاماً فقالت من جريج فأتوه فكسروا صومعته ، وأنزلوه وسبوه **فتوضا وصلي ، ثم أتي الغلام** فقال من أبوك يا غلام ؟ قال الراعي قالوا نبني صومعتك من ذهب ، قال لا إلا من طين .

وكانت امرأة ترضع ابنا لها من بني اسرائيل فمر رجل راكب ذو شارة فقالت ، اللهم اجعل ابني مثله فترك ثديها وأقبل علي الراكب فقال اللهم لا تجعلني ، ثم أقبل علي ثديها يمصه ، قال أبو هريرة كأني أنظر إلي النبي صلي الله عليه وسلم يمص أصبعه ، ثم مر بأمه ، فقالت اللهم لا تجعل أبني مثل هذه فترك ثديها فقال اللهم أجعلني مثلها ، فقالت لم ذلك ؟ فقال الراكب جبار من الجبابرة وهذه المة يقولون سرقت زنت ولم تفعل [١] **فنص** الحديث كما ترى لم يذكر شاهد يوسف ضمن الذين تكلموا في المهد ، أما الحديث الذي ذكره أبو السعود – استشهاداً علي ما ذهب إليه

---

[٣] تفسير أبي السعود جـ ٤ ص ٢٦٨ .
[١] فتح الباري بشرح صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب قوله تعالي " **واذكر في الكتاب** مريم " جـ ٢ ص ٥٤٩ .

من أن الشاهد كان صبياً في المهد – فقد أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره موقوفا علي ابن عباس . [٢]

والمرفوع مقدم علي الموقوف كما هو معلوم ، فضلاً عن أن سند الحديث إلي أبن عباس ضعيف كما قال ابن حجر . [٣]

وسبب هذا الضعف أن فيه علتين ، كما قال ناصر الدين الألباني .

الأولى : عطاء بن السائب ، كان قد اختلط وحماد بن سلمه روى عنه قبل الاختلاط ، خلافا لما يظن خلافة من المعاصرين .

الثانية : **ابن** وكيع وهو سفيان ، قال الحافظ ، كان صدوقا إلا أنه ابتلي بوزاقه فأدخل عليه ما ليس من حديثه ، فنصح فلم يقبل ، فسقط حديثه . [٤]

الأمر الثاني أن ظاهر النص القرآني يفيد أن الشاهد كان رجلاً ، وليس طفلاً في المهد إذ لو كان طفلاً لكان مجرد كلامه أنها كاذبة ، كان حجة قاطعة علي صدق يوسف عليه السلام ، لأنه من المعجزات كما يقول المفسرين . [١] ولما احتاج أن يقول من أهلها ولا أن يأتي بدليل حي علي براءته وهو قوله " وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ " الآية .

وهذه – ولا ريب – منطق الكبار العقلاء الحكماء الذين يتوصلون من خلال القرائن إلي الحقيقة ويضعون تحت أيديهم حيثيات ما يحكمون به ، ولا سيما في أمثال تلك القضايا ، حيث يحكم فيها كبار الناس وعقلاؤهم ، ولا أطفالهم وصغارهم ، ورحم الله الإمام الرازي فقد ارتضي هذا الرأي ورجحه علي غيره وقال بأوليته وذكر لذلك وجوهاً :

منها أن الله تعالي قال " وشهد شاهد من أهلها " وإنما قال من أهلها ليكون أولي بالقبول في حق المرأة لأن الظاهر من حال من يكون من أقرباء المرأة ومن أهلها أن لا يقصد بالسوء والإضرار فالمقصود بذكر كون ذلك الرجل من أهلها تقوية قول ذلك الرجل ، ولو كان هذا القول صادراً عن الصبي الذي في المهد لكان قوله حجة قاطعة ولا يتفاوت الحال بين أن يكون من أهلها أو من غير أهلها وحينئذ لهذا القيد أثر .

ومنها :أن لفظ الشاهد لا يقع في العرف إلا علي من تقدمت له معرفة بالواقعة وإحاطة بها. [٢]

---

[٢] جامع البيان جـ ٢ص ١١٥

[٣] فتح الباري جـ ١ ص ٥٥٣

[٤] سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة جـ ٢ص ٢٧٢ .

[١] انظر الالوسي عند تفسيره لهذه الآية جـ ١٢ ص ٢٢٢ .

[٢] تفسير الفخر الرازي جـ ١٨ ص ١٢٦ .

فهذه الوجوه التي ذكرها الإمام الرازي تعزز ما ذهبنا إليه من أن الشاهد كان رجلاً وليس صبياً في المهد وتدل دلالة واضحة علي ذلك .

موقف يوسف وامرأة العزيز

إن امرأة العزيز لما رأت سيدها لدى الباب يريد الدخول ، وكان معه ابن عمها أرادت أن تشفي غل صدرها ، وحنقها علي يوسف لما فاتها من التمتع به ، وتوقعه في الشر ، جزاء إبائه عن مطاوعتها ، تقدمت نحو زوجها باكية شاكية قائلة " ما جزاء من أراد بأهلك سواءاً أن يسجن أو عذاب أليم ، وأفهمته أنه راودها عن نفسها ، وأنها أبت عليه ، وأما يوسف فقد وجد نفسه في مأزق حرج وأن الصدق سبيل نجاته ، وأنه اللائق بمقابلة العزيز بما صنع معه من جميل وما أسدي إليه من المكرمة ، فقال : هي راودتني عن نفسي ، وأنا امتنعت وأبيت حتى آل أمرها إلي أن نازعتني ثوبي ، وهنا ظهرت فراسة ابن عمها في تحقيق الحق من قولهما فقال : إن كان قميصه قد نت قبل فصدقت وهو من الكاذبين ، وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين ، لأن الهاجم علي المرأة وهي تدافعه إنما يظهر أثر دفاعها في مقدمة قميصه ، والهارب من المرأة العالقة بثوبه إنما يظهر أثر ذلك من الخلف ، لأنه يكون مستدبراً لها ، وهي تجاذبه من خلف ، فظهر حق يوسف وكذب امرأة العزيز ، بأن رأوا قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين ، فعاد العزيز علي امرأته باللوم ، وقال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم ، وأمر يوسف بكتمان الخبر ، وأمرها بالاستغفار لذنبها ، وصرخ بأنها مخطئة فيما صنعت ، أقرأوا قوله تعالي " قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥) قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٧) فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨) يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ (٢٩) "

الشهادة ببراءة يوسف

للفخر الرازي كلمة طيبة أرودها في تفسيره وهي : أن يوسف قد شهد الله تعالي ببراءته بقوله تعالي

" إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ " وشهد الشيطان ببراءته بقوله " فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ " ، وشهد ببراءته الشاهد من أهل امرأة العزيز إذ قال " **إِنْ كَانَ** قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ **الصَّادِقِينَ** (٢٧) فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨) يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ (٢٩) "

وشهد ببراءته النسوة اللاتي قطعن أيديهن بقولهن " مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ " ، وشهدت ببراءته زوجة العزيز بقولها " الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ " فالذي يريد أن يتهم يوسف بالهم عليه أن يختار أن يكون من حزب الله أو من حزب الشيطان ، وكلاهما شهد ببراءة يوسف فلا مفر من الإقرار بالحق علي أي حال وهو براءة يوسف من الهم بها .

شيوع الخبر في المدينة وتحدث النساء به

شاع نبأ حادثة امرأة العزيز وفتاها في أرجاء المدينة ، ولاكته أفواه النساء لائمات لها علي هذا الغرام ، وشرعن يضللنها ويلمنها بفادح اللوم ، ودوى صدى هذا القول في آذن امرأة العزيز ، فأخذت في الكيد لهن ، ليعذرنها ، ولا يعذلن فأرسلت إلي طائفة من نظيراتها العاذلات ـ وأعتدت لهن مكاناً أنيقاً يجلسن فيه وقدمت إليهن طعاماً يحتاج إلي القطع بالسكن ، وآتت كل واحدة منهن سكيناً وفي تلك اللحظة أمرت يوسف أن يخرج عليهن فيرهن جماله ، وألهاهن عن أن يحسن قطع الفاكهة التي بأيديهن ، فصرن يقطعن أيديهن ، وشغلن بمطالعة محاسن خلقه والتأمل في جماله واللذة في ذلك تغمر ألم جراحهن بأيديهن فأعلن إكبارهن لذلك الجمال ، وقلن " ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم " حينئذ باحت امرأة العزيز لهن بما يكنه فؤادها من اللوعة وقالت لهن كما يشكو العاشق بلواه لعاشق مثله " فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ " فانتم ترون ان امرأة العزيز كتمت أمرها حتى صادتهن وأوقعتهن في شباك غرامه وصرن كلهن في الهوي سواء ، ثم باحت لهن بذلت نفسها آمنه النميمة عليها ومن هذا القبيل قول القائل :

لا تخف من فعلت بك الأشواق واشرح هواك فكلنا عشاق

وانتم ترون – أيضا – أن عشقها فضحها في المرة الأولى ، وكذبت لتتخلص من العار ، ولتتشفي من ذلك الرجل الذي وصل حبه إلي شغاف قلبها ، وانضج فؤادها بنار هواه ، فلم تحسن التخلص ، ولم يكن كذبها منجياً لها من اللوم ، وكان من حقها أن ترتدع ، ولكن الهوى صرعها للمرة الثانية ، فتوعدته بأن ينصاع لأمرها وإلا كان مأواه السجن ولقاء الصغار بدخوله .

ولما فشت القالة بذلك رأي العزيز وخسن له مشيروه أمرا هو أنه لا يخلصهم من العار ويكف السنة الناس عنه وعن زوجته إلا زجه في السجن ليخيلوا للناس أنه مازج في السجن إلا لأنه آثم كاذب في أدعاء البراءة ، وأن زوجة العزيز بريئة مما قذفت به ، وهذا مصداق قوله تعالي : " ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ " .

وإني ألفت نظركم إلى لفظ " مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ " فإن رؤية الآيات الدالة علي صدق يوسف وكذب امرأة العزيز فيما حاولت أن تلصقه به من عار الخيانة لسيده ، كان ظاهرا واضحا وكان حق العزيز أن يوقع بها العقاب علي ما اجترحته ويكرم يوسف ويظهر للناس براءته " لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى " ولكن شيئاً من ذلك لم يكن ، بل عمد هو وآله إلي الإساءة إلي من أحسن عمله ، وحفظه بالغيب في زوجه ، ورعى له حق السيادة والإكرام ، فقد عمد إلي المسيئة الكاذبة المستهينة بكرامتها وكرامة زوجها ، والتي عرضت عفافها بضاعة مزجاه في سوق الفسوق ، فلم يمسها بأذى ، بل قدم يوسف البرئ النقي الظاهر فديه عن سمعتها .

والآية تشير من طرف خفي إلي أن القوم استعانوا بالقوة القضائية علي الكيد ليوسف وزجه في السجن، لأن رؤية الآيات علي براءته إنما تكون أمام القضاء وهو إما رسمى أو عرفى ، ولعل القضاء العرفي هو الذي استعملوه وهو قضاء خير من الاستبداد وهو شر أنواع القضاء .

يوسف في السجن

أدخل يوسف السجن على غير جريمة ، ودخل معه السجن فتيان أحدهما رئيس الخبازين عند الملك والثاني رئيس سقاية ، فبعد يوم آتاه صاحب شراب الملك وأخبره أنه رآي في منامه أنه يعصر في كأس الملك الخمر ، يتناول العنقود من العنب ويعصره في كأس الملك ، وجاء الخباز قال له : إني رأيت فوق رأسي طبقاً من الخبز والطير تأكل من ذلك الخبر وطلبا إليه أن ينبئ كل واحد منهما بتأويل رؤياه .

انتهز يوسف هذه الفرصة ليعلن لهم دينه ، ويدعوهم إليه ، وقام فيهم خطيبا ينبئهم بمقدرته علي تأويل الرؤيا ، وأنه لا يأتيهما طعام إلا نبأهما بتأويله قبل أن يأتيهما ، وأن ذلك مما علمه الله تعالي أياه ، بتركة ملة الأقوام الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ، واتبع ملة إبراهيم وإسحاق ويعقوب وأن ذلك كله من فضل الله عليه وعلي ذويه وعلي الناس ، وسأل صاحبيه ، أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ، الذي أمر ألا يعبد الناس سواه ، وأن ذلك هو الدين القويم ، وأن جهلة الناس لا يعلمون ، ثم قال " يا صاحبي السجن أما أحدكما (**الساقي**) فيسقي ربه خمراً وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضى الأمر الذي فيه تستفتيان " وفي تلك الحال أمل يوسف أن يجد الفرج لما هو فيه من الضيق علي يد الفتي الذي ظن أنه ناج ، وقال له أذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين ، وتحقق تأويل المنام كما قال. [1]

ما قيل في المدة التي لبثها يوسف في السجن

قال تعالي " وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ " [1]

عندما أخذ أبو السعود يفسر هذه الآية تعرض لمدة سجن يوسف عليه السلام فقال " وأكثر الأقاويل أنه لبث في السجن سبع سنين ، وروى عن النبي صلي الله عليه وسلم " **رحم** أخي يوسف لو لم يقل: **أذكرني عند ربك ، لما لبث في السجن سبعاً بعد الخمس** " [2]

---

[1] قصص الأنبياء ص ١٦٠ – ١٦٣ .
[1] سورة يوسف آية ٤٢ .
[2] تفسير أبو السعود جـ ١ ص ٢٨ .

أقول ما ذكره أبو السعود من تحديد المدة التي لبثها يوسف عليه السلام في السجن بكونها سبع سنين ، قول لا دليل عليه ولعل الذين قالوا بهذا الرأي استندوا في ذلك إلي أن البضع في اللغة يطلق علي السبع .

والتحقيق : أنه كما يطلق علي السبع يطلق – كذلك – علي ما بين الثلاث إلي التسع ، وقيل ما بين الثلاث إلي العشر .

قال الفراء : البضع ما بين الثلاث إلي ما دون العشرة ، وقال أبو عبيدة البضع ما لم يبلغ العقد ، ولا نصفه ، يريد ما بين الواحد إلي أربعة . [٣]

وما دام الأمر كذلك ، فجائز أن يكون أي عدد من ذلك هو مدة بقاء يوسف في السجن ، بعد أن قال للذي " أذكرني عند ربك " دون أن نطلع بأي عدد كان بعد أن أبهمه القرآن ولم يحدده.

القول الصحيح : أن لا نجزم بمقدار معين من العدد ، قال الإمام فخر الدين الرازي في التعقيب علي ذلك ، والصحيح أن هذه المقادير غير معلومة ، وإنما القدر المعلوم ، أنه بقي محبوساً مدة طويلة ، لقوله تعالي " **وأدكر بعد أمة** " [٤]

أما الحديث الذي أورده أبو السعود في هذا الصدد فلم يثبت بهذا اللفظ وإنما الثابت ما أخرجه ابن جرير الطبري في تفسير الآية حيث قال " حدثنا ابن وكيع حدثنا عمرو بن محمد ، عن إبراهيم بن زيد ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة عن ابن عباس قال ، قال النبي صلي الله عليه وسلم " ولو لم يقل يوسف الكلمة التي قال ما لبث في السجن ما لبث ، حيث يبتغي الفرج من عند غير الله "

وأقول : إن الإمام أبا السعود خالف في متن الحديث ، وذكره بغير اللفظ الذي فيه ، وأورده مرفوعاً ، وهو ليس كما قال ، بل إنه حديث مرسل لا تعلم صحة نسبته إلي الرسول صلي الله عليه وسلم ، ولذلك قال عنه الحافظ ابن كثير ، هذا الحديث ضعيف جداً ، لأن سفيان بن وكيع ضعيف وإبراهيم بن يزيد هو الخوزي أضعف منه أيضا وقد روى عن الحسن وقتاده مرسلاً عن كل منهما وهذه المرسلات – ها هنا – لا تقبل حتى لو قبل المرسل من حيث هو في غير هذا الموطن ، و□ أعلم . [٥]

---

[٣] لسان العرب جـ ١ ص ٢٩٨ .
[٤] تفسير الفخر الرازي جـ ١٢ ص ١٢٢ .
[٥] تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٢١٧ .

ويعلق صاحب تفسير المنار علي هذا الحديث بما يفنده سنداً ومتناً فيقول في التعقيب علي ما ذكره ابن كثير فيما نحن فيه ، إن ما قاله (يعني ابن كثير) في هاتين الروايين للحديث هو أهون ما قيل فيهما ، ومنه أنهما كأنا يكذبان هذا أولاً وثانياً أنه يعني بقوله (ها هنا) **الطعن في** نبي مرسل بأنه كان يبتغي الفرج من عند غير الله ، وهو الجدير بألا تحجبه الأسباب الظاهرة عن واضعها ومسخرها وخالقها عز وجل .

يعني بقوله " لو قبل المرسل من حيث هو " ما هو الصحيح عند علماء الأصول . [1]

قلت وجمهور المحدثين لم يحتجوا بالمرسل – أيضا – **وجعلوه من قسم** الضعيف لاحتمال أن يكون المحذوف غير صحابي وحينئذ يحتمل أن يكون ثقة أو غير ثقة وعلي الثاني لا يءمن أن يكون كذاباً [2]

ومن ذلك يتضح لنا عدم الثقة في هذا الآثر الذي أورده أبو السعود يشرح به النص القرآني ولا ينبغي أن يكون حجة علي التفسير بالمأثور .

---

[1] تفسير المنار جـ ١٢ ص ٢٧٥ .
[2] نزهة النظر شرح نخبة الفكر للحافظ ص ٣٧ ، نقلاً عن كتاب الإسرائيليات والموضوعات في التفسير لأبي شهبة ص ٤٤٧ .

الفرج ليوسف

بعد تلك السنين أراد الله أن يعجل بالفرج ليوسف ، فهيأ لذلك الأسباب وذلك أن الملك رأي سبع بقرات جميلات طالعة من النهر ، فأرتعت البقرات في روضة ، ثم رأي سبع بقرات أخرى قبيحة المنظر عجافاً ، خرجت من النهر وأكلت البقرات الأولي السمينة ، ثم استيقظ من منامه ، ثم عاد فرعون إلي رقاده فرأي سبع سنابل خضراء حسنة طالعة في ساق واحدة وإذا بسبع يابسات خلفها قد لفحتهن الريح الشرقية فغدت علي السنابل الخضر فأكلتها .

أصبح فرعون منزعجاً لهذين المنامين ، فدعا بالسحرة وكل من له علم يسألهم عن تأويل هذا المنام ، فلم يجد عند أحد منهم جوابا ، بل قالوا : اضغاث أحلام ، وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين ، في ذلك الوقت انتبه رئيس سقاة الملك إلي الأمر ، وتذكر ما قدم بما حدث ، ومر علي خاطره منامه الذي رآه في السجن ويوسف الذي عبره له تعبيرا كأنه يشاهد أمرا واقعا، فعرض الأمر علي الملك وقص عليه حلمه ، وحلم رئيس الخبازين ، وأن غلاما عبرانيا في السجن لرئيس الشرطة قد عبر لهما رؤياهم ، فكان الأمر كما قال ، وطلب أن يرسله إلي السجن ليأتي بالتعبير الذي لا مراء فيه من يوسف ، فأرسله الملك إليه .

فلما التقي يوسف قال له : أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان سأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات تأكل الخضر ، فأخبره يوسف بتأويل ذلك وهو أن مصر يأتي عليها سبع سنين مخصبات تجود فيها بالغلات الوافرة ، ثم سبع سنين مجدبة تأتي علي المخزون من السنين السبع التي تقدمتها ، ثم بعد ذلم تأتي أعوام الخصب والرغد وأن عليهم أن يقتصدوا في سنى الخصب ، ويخزنوا ما فضل عن القوت في سنبله حتى إذا حل الجدب وجدوا في مخازنهم ما يسد الرمق إلي أن يأتي الخصب .

عاد رئيس السقاة إلي الملك بتأويل رؤياه فسر بها ، وعلم أنه تأويل مناسب متفق مع الرؤيا ، فقال الملك : أئتوني بيوسف ، فلما أرادوه علي ذلك أبي أن يخرج من السجن حتى يعرف أمره علي حقيقته ، وطلب إلي الرسول أن يعود إلي الملك ويسأل عن النسوة اللاتي قطعن أيديهن ولا بد أن يكون قد سماهن له بأسمائهن فلما أحضرهن الملك وسألهن عن شأن يوسف قلن حاشي لله ما علمنا عليه من سوء ، وأنكرن سماعهن شيئاً عن شأنه وشأن امرأة العزيز ، وهذه الآيات المتعلقة بهذا الموقف " وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ (٥٠) قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ "

في الكلام إيجاز كما هو شأن القرآن من عدم ذكر الأشياء التي تكون معلومة من المقام ، وفي الكلام شواهد ، تدل عليها ، والذي يفهم من الآيات أن يوسف كبر عليه أن يخرج من السجن وعليه سمة المجرمين الخائنين ليقف أمام الملك ، فأراد ألا يخرج من السجن إلا وهو ثابت البراءة ، مرفوع الرأس أبيض الصحيفة ، فذكر الحادثة علي وجهها وأنه برئ منها ، وأن الجانية إنما هي زوجة العزيز التي بهتته في وجهه وأن الإشاعة في البلد كانت أن امرأة العزيز رأودته عن نسفه وآية ذلك النسوة اللاتي قطعن أيديهن ، فإنها لما سمعت أنهن لائمات لها دعتهن إلي دارها (وسماهن طبعا) وأنهن لما رأينه قطعن أيديهن وراودته عن نفسه – أيضا – لها ولأنفسهن . (١) وأن امرأة العزيز أقرت أمامهن قائلة " فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ " قالت ذلك عليملأ منهن وأنها نفذت وعيدها بإلقائه في السجن ، وهو برئ مما يوجب سجنه وشهادتهن بما سمعته من امرأة العزيز برهان براءته ، وتثبيت لقوله ، من أن الملك أحضرهن وسألهن عن شأنهن في ذلك اليوم الذي رأودن فيه يوسف عن نفسه فكان جوابهن " حاشى لله ما علمنا عليه من سوء ، وهذا يقتضي براءته وأنهن آتين بالشهادة علي وجهها ، وهذا الذي احرج مركز امرأة العزيز وسد في وجهها المسالك ، فلم تجد للإنكار سبيلاً فقالت الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين ، وهو مما يبريء ساحة يوسف ، أن امرأة العزيز لما رأت أن يوسف الذي زجت به في السجن ظلماً قد أكرمه الله تعالي حتى صار من هم الملك أن يأتي به ليستخلصه لنفسه ، وأن تماديها في اتهامة بما لم يقترف لا يجديها نفعاً ولا يلحق بيوسف ضررا وطدت نفسها علي الصدق في شأن يوسف لأول مرة بعد أن بهتته في وجهه ورمته بما هو منه براء ، وظلت مصرة علي باطلها السنين الطوال فأقرت بما لا تقر به المرأة إلا مغلوبة علي نفسها ، وباحت بما كتمته عن زوجها ، وآلها سنين عدة فقالت " الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (٥٢) **وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ** "

بهذا الإقرار الصريح الدال علي صدق يوسف وبراءته مما رمى به ظلماً ذلك الإقرار الذي ما كان يوسف يظن أنه يصدر من امرأة العزيز الجانية عليه الموقعة له في السجن ، لم يعد يومئذ في حاجة إلي جميع الأدلة ، وتصيد البراهين علي براءته ، وإقامة الحجج علي أنه حبس

---

(١) " وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين "

ظلماً وعدواناً ، وقدم فدية عن عرض امرأة العزيز التي أوقعت نفسها ذبيحة بيد مكرها وقسوتها.

وبعض المفسرين يحمل قوله تعالي " **وما أبرىء نفسي** " علي أنه من كلام يوسف ، وهو خطأ ، لأن نظم الآيات وروح الموضوع بأبيان ذلك وإنما هو من قول امرأة العزيز ، لأن صدر يوسف في السجن ، قيل أن يقول الملك ائتوني به استخلصه لنفسي .

يوسف بحضرة الملك

لما ظهرت براءة يوسف للملك هذا الظهور ـ وخرج يوسف واضح الحجة مستقيم المحجة قال الملك أئتوني به استخلصه لنفسي ، وحينئذ رأي يوسف أنه لا عليه فجأء الملك وكلمه ، فسر الملك به وأعجبه عقله وحسن تعبيره للرؤيا وسأله اي عمل يرضاه لنفسه ، ويكون فيه سروره ، فقال يوسف أجعلني علي خزائن الأرض ، وما يخرج منها من الغلات والخيرات إني حفيظ عليم . (١)

ما قيل بشأن تمكين يوسف ودخوله علي الملك

وتوليه خزائن مصر

قال تعالي " وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِ ٱسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (٥٤)**قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَى** خَزَائِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (٥٥) وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ (٥٦) " (٢)

عندما تعرض أبو السعود لتفسير الآية الأولى ، تحدث عن خروج يوسف من السجن ودخوله علي الملك فقال ما نصه" روى أنه عليه السلام لما جاءه الرسول خرج من السجن ودعا لأهله ، ولبس ثيابا جدداً فلما دخل عليه الملك قال : اللهم إني أسالك بخيرك من خيره ، وأعوذ بك بعزتك وقدرتك من شره وشر غيره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية ، فقال ما هذا اللسان ؟ قال لسان آبائي ، وكان الملك يعرف سبعين لسانا ، فكلمه بهافأجابه بجميعها ، فتعجب منه فقال ، أحب أن اسمع منك رؤياي ، فحكاها ، ونعت له البقرات والسنابل وأماكنها كأنه رآها ، فأجلسه علي السرير ، وفوض إليه أمره ، وقيل : توفى قطفير في تلك الليالي ، فنصبه منصبه ، وتزوج راعيل ، فوجدها عذراء وولدت له إفرايين وميثا ولعل ذلك إنما كان بعد تعيينه عليه السلام .

---

(١) قصص الأنبياء ص ١٦٣ – ١٦٦ .
(٢) سورة يوسف الآيات ٤٥ / ٥٥ / ٥٦

وعند تفسير الآية الثالثة ، أعاد الكلام فيما تقدم فقال " رأى أن الملك توجه وختمه بخاتمه وزوده بسيفه ، ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت فقال عليه السلام ، أما السرير فأسند به ملكك وأما الخاتم فأدبر به أمرك وأما التاج فليس من لباسي ، ولا لباس آبائي ، فقال ، قد وضعته إجلالاً لك ، وإقراراً بفضلك ، فجلس علي السرير ، ودانت له الملوك ، وفوض إليه الملك أمره ، وأقام العدل بمصر ، وأحبته الرجال والنساء وباع من أهل مصر في سنى القحط الطعام في السنة الأولي بالدنانير والدراهم ، وفي السنة الثانية بالحلي والجواهر وفي الثالثة بالدواب ثم بالضباع والعقار ، ثم برقابهم حتى استرقهم جميعاُ فقالوا ما رأينا كليوم ملكا أجل وأعظم منه ثم اعتقهم ورد إليهم أموالهم . [1]

- **أقول :**

١- ما ذكره أبو السعود من دخول يوسف علي الملك وسلامه عليه بالعبرانية وإجابة الملك به وكان يعرف سبعين لغة ، وزواج يوسف بامرأة العزيز وإعادتها عذراء كما كانت دون أن يعزوه لقائل إنما هو من قول وهب بن منبه علي ما ذكره الثعلبي في العرائس . [2]

وهذه الأخبار الإسرائيلية التي نقلها أو اقتبسها ابو السعود عمن سبقه كابن جرير الطبري في تفسيره [3] والثعلبي في قصصه من قبيل ما يحتمل الصدق والكذب

ولكن الأولى عدم الاشتغال بها ، فالإمساك عنها خير من روايتها ، لأن الاشتغال بها عبث لا فائدة فيه .

وحسبنا أن نقف عند ما قصه الله علينا من غير أن نفسد جمال تفسير القرآن الكريم بمثل هذه الإسرائيليات التي لا سند لها من كتاب أو سنة ، فهما المصدران اللذان يعول عليهما في بيان مثل هذه الأمور ولم يلبث أنهما بينا لنا شيئاً منها ولا أدري من أين جاء الرواة بها .

والحق أنه لا مصدر لذلك إلا ما جاء في الإصحاح الحادي والأربعين من سفر التكوين فقد جاء فيه أن الملك حين دخل يوسف عليه قال له (جعلتك علي كل أرض مصر ، وخلع خاتمه من يده ، وجعله في يد يوسف ، وألبسه ثياب بوص ووضع طوق ذهب في عنقه ، وأركبه في مركبته الثانية – **وأعلاه (سنت بنت فوطى فارع)** زوجه وكان يوسف ابن ثلاثين .[4]**سنة** حين هذا الحادث ،

---

[1] تفسير ابي السعود جـ ٤ ص ٢٨٦ – ٢٨٧ .
[2] قصص الأنبياء المسمى عرائسي المجالس ص ١١١ .
[3] جامع البيان جـ ١٣ ص ٤ – ٥
[4] قصص الأنبياء ص ١٦٦ / ١٦٧ .

ومن ذلك يتبين أن مثل هذه الروايات إنما هو مما عند أهل الكتاب وغني عن البيان أن ما عندهم ليس بحجة إلا إذا ورد في شرعنا ما يؤيده .

ويعجبني في هذا المقام قول الشهاب العراقي ، فقد نص علي أن زواج يوسف بامرأة العزيز وإعادتها عذراء كما كانت لا أصل له ، ولا يعول عليه فقال (وشاع عند القصاص أنها عادت شابة بكراً إكراما له عليه السلام ، بعدما كانت ثيباً غير شابة ، وهذا مما لا أصل له ، وخبر تزويجها – أيضا مما لا يعول عليه من المحدثين) [٥]

٢- أما ما ذكره أبو السعود من أن يوسف عليه السلام باع الطعام للناس في أول سنة من سنى القحط بالنقود حتى استولى علي دنانيرهم ودراهمهم وباعهم في الثانية بالحلي والجواهر وفي الثالثة بالمواشي والدواب وفي الرابعة بالضياع والعقار وفي الخامسة بالرقاب والأرواح فبعيد عن الحق والمنطق والصواب لأنه قول لا حجة له ولا دليل عليه فمصل هذه الأمور –**كما ذكرنا آنفاً** – يكون طريق العلم بها النقل ، وما لم يكن كذلك بل كان يؤخذ من أهل الكتاب فلا يجوز تصديقه ولا تكذيبه .

وعلي الفرض صحة هذه المرويات يحق لنا أن نتساءل (الم يكن هذا الفعل بهذه الصورة من أفعال المستبدين الجاهلين بالحكم وأساليبه ؟ وهذا بالطبع لا يتفق وحكمة يوسف عليه السلام وهو نبي من أنبياء الله تعالي .

فما يكون حال دولة استولت حكومتها علي جميع ما في أيدى الناس حتى تجاوزت الممتلكات إلي النفوس والأرواح .

وماذا يبقي لمرء في الحياة وهو يقدم عرضه أو فلذة كبده نظير لقمة من العيش يعيش عليها لفترة قليلة من الزمن "

أن الموت أهون عليه من أن يسلم زوجته أو ابنته أو أمه نظير تلك اللقمة قربانا يفتدي به نفسه لوقت من الأوقات .

وماذا يكون حال رعية تقدم كل يوم تنازلاً جديداً حتى تقدم الأهل والولد ، أهذا هو الحكم والعلم والحفظ الذي امتن الله به سبحانه علي يوسف عليه السلام ، أم أنه النزق والطيش والسفه والاستمتاع بتعذيب الناس وإيلامهم والقضاء علي كل أمل في الحياة لهم ، ولعل المؤمنين بصحة تلك المرويات يحتجون بما جاء فيها من أن يوسف عليه السلام أراد بذلك أن يضرب للملك مثلا أعلي حتي بسنته في حكم الرعية عندما أطلق سراح الناس بعد ذلك .

---

[٥] تفسير الألوسي جـ ١٢ ص ٥ .

ونرد علي ذلك بأن هذا ليس بالأسلوب الأمثل والمناسب للوصول إلي تلك النتيجة بل كان أولي منه أن يظهر للناس من نفسه رقة وشفقة ورحمة وحلماً حتى يخفف من آلامهم ويقلل ما استطاع من مخاوفهم .

ومن المفيد هنا أن ننقل رأي الأمام الحافظ ابن كثير في تلك المرويات الإسرائيليات التي تسربت إلي تراث المسلمين مما هو عند أهل الكتاب والتي أكثر ذكرها أبو السعود وغيره من المفسرين .

يقول ما نصه وما ذكره بعض المفسرين من أنه يعني يوسف باعهم في السنة الأولي بالنقود وفي الثانية بالمتاع وفي الثالثة بكذا وفي الرابعة بكذا حتى باعهم بأنفسهم وأولادهم بعدما تملك عليهم جميع ما يملكون ثم اعتقهم ورد عليهم أموالهم كلها – **و أعلم بصحة ذلك** – وهو من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب والله اعلم . [1]

أخوة يوسف في مصر

مرت السبع المخصبة وأعد يوسف عدته فيها ، واتخذ الخزائن ، وخزن الغلات في أغلفتها ثم جاءت السبع المجدبة في جميع أنحاء الأرض ، فأما المصريون فذهبوا إلي الملك يطلبون القوت ، فأحالهم علي يوسف ففتح المخازن ، وباع لهم من الطعام ما يكفيهم ، وأحس أهل فلسطين بالجوع ، وعلموا أن الطعام بمصر ، فأرسل يعقوب أولاده ومعهم الجمال والحمير لحمل الطعام ـ وأعطاهم الثمن ، فقدموا إلي مصر لشراء قوت أهلهم ، فلما قدموا رآهم يوسف وعرفهم ولم يعرفوه ، وذلك الطبيعي ، لأنه فارقهم وهو أمرد غض الإهاب وقد ناهز اليوم الأربعين من عمره وقد كسته أبهة الملك مهابة تغض عنه عين الناظرين إليه ، وأما هم فعلي حالهم فغي ملبسهم ولغتهم ومنظرهم .

لما جهز يوسف إخوته بالطعام الذي اشتروه ، قال لهم ائتوني باخ لكم من ابيكم أعاملكم مرة أخرى فإذا لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ، ولا تأتوا إلي وذلك أنه رأي أخوته جميعاً إلا أخاه لأمه بنيامين ، وهو أصغر منه ، فأخذ في استدراجهم حتى علم منهم حياته وأنه عند أبيه لم يسمح بمفارقته فأعطاهم الطعام بلا ثمن – في الواقع ليأتوا بأخيهم دون أن يعلموا أنه رد عليهم الثمن ، فقالوا له سنراود عنه أباه ، وكان يوسف قد أكرمهم وأظهر لهم السماحة ، وقال لفتيانه أجعلوا بضاعتهم التي دفعوها ثمناً للطعام في أوعيتهم ، فإنهم يعودون بها إلينا ، لأنهم لا يقبلون ما ليس لهم ، وقد جعل يوسف ذلك فخاً لهم ليعودوا .

---

[1] تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٣٦٢ .

إخوة يوسف عند أبيهم

عاد أخوة يوسف إلي أبيهم وأخبروه أن المسؤول عن التموين منعهم الشراء من الطعام فيما يعد حتى يأتوا بأخيهم لأبيهم ، فتذكر يعقوب قديم أمرهم بحديثه ، وعاودته لوعته علي يوسف ، فقال لهم ، هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم علي أخيه من قبل .

فتح إخوة يوسف متاعهم لاستخراج الطعان الذي أتوه به من مصر فوجدوا فضتهم بحالها لم تمس فكان ذلك مما شدد عزائمهم في الكلام مع أبيهم ، وقالوا له : يا أبانا ما نبغي ؟ هذه بضاعتنا ردت إلينا ، فإذا سمحت بأخينا يذهب معنا فإننا نمير أهلنا ، ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ، وهو شيء يسير عند الملك الذي طلب أخانا ، والظاهر أن القحط كان شديداً مما جعل يعقوب يسمح بسفر أبنه تحت شروط اشترطها علي أولاده ، فقال لهم : لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقاً من الله لتأتنني به ، إلا أن يحاط بكم ، أي إلا أن تغلبوا علي أمركم ، فأعطوه موثقهم علي الوفاء بما اشترطه ، وحينئذ قال " الله علي ما نقول وكيل " **وأوصى** بنيه أنهم إذا أتوا مصر لا يدخلون من باب واحد بل يدخلون من أبواب متفرقة ، ويقول المفسرون ، إن ذلك لخوفه عليهم من الحسد ، ولكن الذي أميل إليه أن ذلك منه لئلا يلفتوا نظر الناس إليهم ، وذلك إلي التحدث بشأنهم ، والحدس في مقصدهم ، فيظن بهم أنهم جواسيس ، أو رواداً لمن وراءهم ممن يريد الإغارة علي البلاد من الأقوام التي عضها الجوع .

وأيا ما كان من الأمور ، فقد عاد إخوة يوسف إلي مصر في طلب الميرة ولم يبق عند أبيهم منهم ، ومعهم البضاعة التي ردت إليهم .[1]

حيلة يوسف في إبقاء بنيامين عنده

أمر يوسف بتجهيز إخوته فملأ لهم الأعدال طعاماً وأمر أن توضع حصة كل واحد في عدله ، وأن توضع طاسة في عدل صغير ، وهي الطاس التي كان يشرب فيها ، فساروا غير بعيد ، وفاجأهم وكيل يوسف يناديهم ، ويوبخهم علي ما صنعوا ، وأنهم قابلوا الإحسان بالإساءة وأنهم سرقوا سقاية الملك (يوسف) فأظهروا البراءة من هذا العمل ، وقالوا من وجدت سقاية الملك في رحله يؤخذ عبداً للملك ، ففتش أعدالهم مبتدئاً بالكبير ، منتهياً بالصغير ، فوجد السقاية في عدل بنيامين ، فرجعوا إلي المدينة ، ودخلوا علي يوسف مستعطفين مسترحمين ، ولامهم يوسف علي **ما صنعوا ، فراودوه علي** أن يأخذ أحدهم عبداً مكان أخيهم فأبي وقال : **إن الذي وجد الطاس في**

---

[1] قصص الأنبياء ص ١٦٧ – ١٦٨ .

رحله يستعبد لي ، وأما أنتم فاذهبوا إلي بلادكم وأبي يوسف بعد الاستعطاف وبينوا له أن أباه متعلق به ، وأنه سلوته عن أخيه المفقود أن يطلقه ، فقالوا بحضرة يوسف – وقد ملئوا غيظاً علي بنيامين ، لما أوقعهم فيه من الورطة – إن يسرق فقد سرق أخيه من قبل ، فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها ، وقال لهم انتم شر مكانا من هذا السارق ، والله أعلم بما تصفون ، وكانوا يعنون يوسف ذلك أن أمه ماتت وهو صغير فكفلته عمته وتعلقت نفسها به ، فلما اشتد قليلاً أراد أبوه أن يأخذه منها ، فضنت به وألبسته منطقة إبراهيم ، كانت عندها ، وجعلتها تحت ثيابه ، ثم أظهرت أنها سرقت منها ، وبحثت عنها حتى أخرجتها من تحت ثياب يوسف وطلبت بقاءه عندها يخدمها مدة ، جزاء بما صنع ، وبهذه الحيلة استبقته عندها وكف أبوه عن مطالبتها به .

يئس إخوة يوسف من أخذ أخيهم بطريق المبادلة ، فقال كبيرهم (روبين) **إن أباكم قد** أخذ عليكم موثقا من الله برد أخيكم ، ومن قبل ذلك كان تفريطكم في يوسف ، وعلي ذلك لن أبرح **الأرض (مصر)** حتى يأذن لي أبي في القدوم ، أو يحكم الله في شأني ، وهو خير الحاكمين ، واشار عليهم بالرجوع إلي أبيهم وإخباره بما كان من أمر أخيهم ومن الملك يوسف ، وأن أبنه صار عبداً للملك بسبب شرقته طاسة ، وأن ظهور السرقة كان عن ملأ منهم ، ومن أهل العير التي كانوا فيها ، وأنهم صادقون فيما أخبروا به .

عاد أخوة يوسف عدا أكبرهم وأصغرهم إلي أبيهم ، وأخبروه بالأمر علي جليته ، فلم يدخل عليه هذا القول وأحالة علي أمره دبروه له ، كما دبروا لأخيه من قبل ، زاد به الحزن حتى ابيضت عيناه ، وعاوده من الوجد علي يوسف وقد انقضى أمره ، ثم إن يعقوب رد أولاده الذين وردوا عليه إلي مصر ، ليشتروا طعاما وليتحسسوا له شأن يوسف وأخيه ، وأمرهم بعدم اليأس من روح الله فإن ذلك شأن الكفار ، فذهبوا كما أمرهم أبوهم .

مقارنة بين القرآن والتوراة في تلك النقطة

إن القرآن يجعل أخذ الموثق علي جميع أولاد إسرائيل العشرة ، والتوراة تجعله علي يهوذا خاصة ولعله كان متكلما عنهم ، وكلمته كلمتهم ، وعهدة عهدهم ، والقرآ، يذكر أن يوسف أوى إلي أخاه إني أنا أخوك ، والتوراة تجعل يوسف مجهولاً من بنيامين إلي أن أخبرهم جميعاً بأنه أخوهم بعد ذكر قصة الطاس .

والقرآن ذكر قولهم " إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل ، والتوراة لم تذكرها .

والقرآن يذكر عوة أخوة يوسف إلي أبيهم وإخباره بأن أبنه قد سرق واستعبد في مصر .

والتوراة لم تذكره ، ومعلوم أن القرآن مهيمن علي ما نقدمه . [1]

يوسف يتعرف إلي إخوته

جاء إخوة يوسف وقالوا ، يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر **(من الجوع) وجئنا ببضاعة مزجاة** (لقلتها) فأرف لنا الكيل ، **(وإن** الثمن لا يوجب ذلك) وتصدق علينا (بإطلاق أخينا من عبوديتك) إن الله يجزي المتصدقين ، فقال لهم يوسف – مذكراً بما كان منهم من الإساءة – هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون " إذ فرقتم بينهما وألهبتم صدورهما بنار البعد ، ولعله إنما كلمهم بلغتهم لأول مرة ، فعرفوا أنه يوسف ، لذلك قالوا " أئنك لأنت يوسف ؟ قال : أنا يوسف وهذا أخي ، قد من الله علينا وإن كنا لخاطئين ، قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم ، وهو أرحم الراحمين ، اذهبوا بقميصي هذا فألقوه علي وجه أبي يأت بصيراً وأتوني بأهلكم أجمعين .

فلما فصلت عيرهم من مصر كانت نفس يعقوب مستشرقة لتغيير ما يه من حال ، ولم يدب اليأس إلي نفسه ، بل هو يتوقع الفرج بلقاء يوسف الذي طال حزنه عليه ، فقال لمن حوله من جماعته " إني لأجد ريح يوسف لولا إن تفتنون " أي لأخبرتكم بأني أتوقع لقاءه ، فقالوا له : **تالله إنك لفي ضلالك** القديم أي خطئك القديم في اعتقادك أن يوسف باق إلي اليوم ، ولم يطل به الانتظار حتى جاء البشير إلي يعقوب بسلامة يوسف ، وأخيه ، والقى قميص يوسف علي وجه يعقوب فارتد بصيراً وقرت علنه ، وبشر نفسه باللقاء لمن حوله ، ألم أقل لكم : **إني أعلم من الله ما لا تعلمون** ، ولابد أن يعقوب لم يقل هذا القول إلا وقد أعلمه الله بحياة يوسف وأنه سيلاقيه .

شد يعقوب وآله أجمعون رحلهم إلي مصر ، فلما جاءوا إليها دخلوا علي يوسف فآوى إليه أبيه – اي يعقوب وزوجه خالة يوسف – أمه كانت قد ماتت وهو صغير ، وسجد له أبوه وأمه وإخوته الأحد عشر ، وقال لأبيه : يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل جعلها ربي حقا ، وقد أحسن بي **إذ أخرجني من السجن وجعلني علي خزائن الأرض** .

---

[1] قصص الأنبياء ص ١٧٠ – ١٧١ .

نتائج البحث

١- كثر الروايات الإسرائيلية التي الصقت بيوسف عليه السلام ، نظراً لأنه من بني إسرائيل ، فهو يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم .

٢- إن يوسف عليه السلام قد شب علي أكمل الأوصاف عاملاً بما علم من آياته وأجداده الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

٣- الإيمان بالمبدأ يسهل ملاقاة الصعاب ومواجهة العواصف .

٤- الألتجاء إلي الله عند الابتلاء ، لقد اعتمد يوسف عليه السلام علي الله تعالي في كل شدة ألمت به .

٥- الدعوة إلي الله بمبدئه الذي اعتنقه ، فاغتنم فرصة احتياج رئيس الخبازين ورئيس السقاة فأخذ يدعوهما إلي دينه .

٦- ضرب يوسف عليه السلام المثل الأعلي في كثير من أنواع الصبر .

قائمة المراجع حسب الترتيب الأبجدي

١- القرآن الكريم .

٢- اتجاه التفسير في العصر الحديث : للشيخ مصطفى الحديدى الطير ط البحوث الإسلامية العدد ٨٠ ربيع الأول سنة ١٣٩٥ هـ .

٣- الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم : أ . د . محمد حسين الذهبي الناشر مكتبة وهبه .

٤- الإتقان في علوم القرآن للحافظ جلال السيوطى / ط دار الفكر للطباعة والنشر بيروت .

٥- أثر القراءات في الدراسات النحوية د . عبد العال سالم ط المجلس الأعلي للشئون الإسلامية .

٦- الأحاديث الضعيفة والموضوعة لناصر الدين الألباني ط المكتب الإسلامي .

٧- أحكام القرآن لأبي بكر المعروف بأبن العربي ، تحقيق علي محمد البجاوي ط عيسي البابي الحلبي .

٨- إحياء علوم الدين للأمام الغزالي ط دار الشعب .

٩- أسباب النزول للحافظ جلال الدين السيوطى ط دار إحياء الكتب العربية .

١٠- أسباب النزول للواحدي النيسابوري ط دار الكتب العلمية بيروت .

١١- الإسرائيليات في التفسير والحديث أ . د محمد حسين الذهي ط مجمع البحوث الإسلامية .

١٢- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير أ.د.محمد أبو شهبة ط سلسلة البحوث الإسلامية سنة ١٤٠٤ .
١٣- ارشاد العقل السليم إلي مزايا الكتاب الكريم للعماد أبي السعود ط دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
١٤- أضواء البيان في إيضاح القرآن الكريم للعماد محمد الأمين الشنقيطي ط بيروت .
١٥- الإعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء لخير الدين الزركلي " دار العلم للملايين بيروت .
١٦- إعلام الموقعين عن رب العالمين لأبن القيم الجوزيه ، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية .
١٧- الانتصاف علي هامش الكشاف للإمام أحمد بن المنير الإسكندرني ط دار المعرفة بيروت.
١٨- أخبار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين البيضاوي ط دار الفكر .
١٩- الباحث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير تحقيق الشيخ أحمد شاكر ط مكتبة دار التراث .
٢٠- البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ط دار الفكر ١٣٩٨ هـ .
٢١- البداية والنهاية للحافظ ابن كثير ط دار الفكر العربي .
٢٢- تاريخ الطبري لأبن جرير الطبري – تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم ط بولاق الأولي .
٢٣- تحذير الخواص من أكاذيب القصاص ، للحافظ جلال الدين السيوطى ، هدية مجلة الأزهر ط البحوث الإسلامية ١٤٠٣ هـ
٢٤- التحرير والتنوير ، لمحمد الطاهر بن عاشور ط الدار التونسية .
٢٥- تذكرة الموضوعات للعلامة محمد أبي الفضل محمد بن طاهر أحمد المقدسي ط النهضة الحديثة .
٢٦- تفسير القرآن العظيم لأبن كثير، تحقيق د . محمد البنا وآخرون ط الشعب .
٢٧- تفسير القاسمي، لمحمد كمال الدين القاسمي ط عيسي الحلبي سنة ١٣٢٦ هـ .
٢٨- تفسير القرآن الحكيم المسمي (تفسير المنار) تأليف السيد رشيد رضا ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ؟
٢٩- التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
٣٠- تفسير المراغي ، للشيخ أحمد مصطفى المراغي ط مصطفى الحلبي سنة ١٣٧٢ هـ
٣١- تلبيس إبليس لأبي الفرج ابن الجوزى ط المطبعة المنيرية .
٣٢- تمييز الطيب من الخبيث للإمام عبد الرحمن بن علي الشيباني ط صبيح سنة ١٣٨٢ هـ

٣٣- تنزية الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة لأبي الحسن بن عراق ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، وعبد الله محمد الصديق ، ط دار الكتب العلمية بيروت .
٣٤- تهذيب التهذيب لأبن حجر العسقلاني ط دائرة المعارف النظامية بالهند سنة ١٣٢٦ هـ
٣٥- جامع البيان في تفسير القرآن الكريم لأبن جرير الطبري ط دار المعرفة بيروت .
٣٦- الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ط الشعب .
٣٧- الجواهر الحسان في تفسير القرآن للشيخ طنطاوي جوخري ط الحلبي سنة ١٣٥٩ هـ
٣٨- حاشية السقا علي تفسير أبي السعود للشيخ ابراهيم السقا مخطوطة بمكتبة الأزهر تفسير خصوصية رقم (١٣٢٢) .
٣٩- دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة لموريس بكاي ط دار المعارف .
٤٠- الدر المنثور في التفسير بالمأثور للحافظ جلال السيوطى ط دار المعرفة بيروت .
٤١- روح المعاني للإمام شهاب الدين الألوسي البغدادي .
٤٢- زاد المسير في علم التفسير للإمام ابن الجوزى ت / محمد زهير الشاويش دمشق ط المكتب الإسلامي ١٣٨٨ هـ بيروت .
٤٣- سنن أبي داود للحافظ أبي سليمان بن الأشعت بن إسحاق الأزدي السجستاني ط دار الفكر .
٤٤- سنن ابن ماجه للحافظ أبي عبد الله القزويني ط دار الفكر .
٤٥- سنن الترمذي للحافظ محمد بن عيسي الترمذى ط مصطفى الحلبي .
٤٦ – صحيح البخاري .
٤٧- الضعفاء والمتروكين للإمام أبي الحسن علي بن عمر الدار قطني ط مؤسسة الرسالة تحقيق الأستاذ صبحي السامرائى .
٤٨ –عمدة التفسير للحافظ ابن كثير ، اختصار الشيخ أحمد محمد شاكر ط دار المعرفة سنة ١٣٧٦هـ
٤٩- فتح القدير للإمام محمد بن على الشوكاني ط دار الفكر .
٥٠- القاموس المحيط للفيروزأبادي ط المكتبة التجارية .
٥١- قصص الأنبياء المسمي بعرائس المجالس لأبي إسحاق الثعلبي ط عيسي الحلبي .
٥٢- قصص الأنبياء للشيخ عبد الوهاب النجار ، الناشر مكتبة دار التراث .
٥٣ – الكامل في التاريخ لأبن الآثير ط سنة ١٣٨٥ هـ .
٥٤- الكتاب المقدس ط دار حامى للاباعة .